هناك في أزقة الحارات والقرى والمخيمات تنتظم مجموعات وخلايا جديدة على امتداد مدن وقرى وخرب الضفة الغربية ويتجه الشبان إلى بطون الأودية أو وراء الجبال الشامخة ليتدربوا على استخدام السلاح الذي استلموه قريباً أو حصلوا عليه مما كان عند آبائهم أو أجدادهم يخفونه منذ سنوات، مستعدين لبدء المواجهة القادمة مع أول فرصة وهم يتحرقون شوقاً للقاء العدو والسلاح بأيديهم على قلته وبساطته وعدم الخبرة الكافية على استخدامه، ولكنها صدور الشباب تغلي كالمرجل.

في ذلك المتجر كان يلتقي زوج خالتي وأبو علي مع عدد من التجار في تلك الأيام شديدة البرد يرتشفون الشاي، يجتمع عدد من أولئك التجار، وهم يتحدثون من جديد عن أخبار القتال وسجن زوج خالتي وأبو علي، وجدوى عملهما وإضاعتهما فترة ليست بسيطة من عمرهما، وأنه لا جدوى من المقاومة، واعتقالهما أكبر دليل على صدق نظريتهم وتوقعات بعضهم، فيبدأ أحدهم بحساب أيام الشهور التي سيقضيها زوج خالتي في السجن وأنه كان يربح في تجارته في كل يوم ثلاث ليرات إسرائيلية، أي أنه أضاع على نفسه ما لا يقل عن خمسمائة ليرة، ناهيك عن البهدلة وقلة القيمة له ولأهله.

الوضع الاقتصادي السيئ لغالبية الناس وما قد يسببه ذلك من دفع العديدين للمقاومة (والعمل التخريبي) حسب رؤية قادة إسرائيل، بالإضافة إلى حاجتهم للكثير من الأيدي العاملة لبناء الدولة الوليدة جعلهم يدرسون أن يفتحوا باب العمل أمام السكان بصورة تدريجية وبعد التدقيق الشديد في الجوانب الأمنية، وبالفعل فقد أعلنوا ذلك وبدأت دوائر الجوازات والتصاريح باستقبال من يقدم من الرجال طلباً لتصريح عمل داخل الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، وقد أثار الأمر جدلاً عنيفاً في العديد من أوساط الشعب الفلسطيني.

ففي زاوية ساحة حارتنا حيث يجلس الرجال ورغم مرض جدي وتقدمه في السن إلا أنه لا زال يواظب على حضور ذلك المؤتمر اليومي حيث تم تداول هذا الأمر، وانقسم الناس في آرائهم بين معارض أشد المعارضة، فكيف نسمح لأنفسنا ببناء دولة الأعداء وتقوية أسسها، بينما جنود العدو يتدربون ويتجهزون لحربنا وحرب شعبنا وأمتنا. ويرى بعض الناس أن ذلك صورة من صور الخيانة وبينما بعض الواقعيين يرون أن الواقع قد فرض نفسه وأن إسرائيل قامت ولن يهدها أو يكسرها عدم عمل مئات أو آلاف العمال فيها.